الترادف في اللغة العربية بين الإثبات والنفي
دراسة تحليلية

الباحث/ محمد خليل الرحمن محمد عبد الجليل
طالب بمرحلة الدكتوراه، كلية اللغة العربية،
جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه، وبعد:

فإن الترادف يعدّ من الظواهر البارزة في اللغات عموما، وفي العربية خصوصا، ويعدّ أيضا من الظواهر اللغوية المهمّة لما في علاقة الألفاظ بالمعاني من أثر في التواصل بين الناس، وتعتبر هذه الظاهرة وسيلة من بين الوسائل التي أغنت المعجم العربي، حتى أصبح المتكلم يستطيع التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ، دون حدوث لبس في الفهم. وقد اهتم اللغويون بهذه الظاهرة، وألفوا فيها كتبا ورسائل وأبحاثا ومقالات، بينوا من خلالها معنى الترادف وأسبابه وفوائده. وقد تشعّبت مسائل الترادف باهتمام العلماء والدارسين، فاختلفت آراؤهم، وتباينت اتجاهاتهم حولها، سواء في ذلك علماء اللغة، وأصول الفقه، والمنطق، والمشتغلون بعلوم القرآن.

وقد اخترت هذا الموضوع لأهميته البالغة من ضمن القضايا اللغوية تحت عنوان: "الترادف في اللغة العربية بين الإثبات والنفي" دراسة تحليلية. وسوف أتناوله وفقاً للتسلسل الآتي: ١- تعريف الترادف، ٢- الاختلاف حول وجود الترادف في اللغة العربية، ٣- حجج المثبتين للترادف والمنكرين له، ٤- شروط الترادف، ٥- أسباب وقوع الترادف، ٦- فوائد الترادف في اللغة ووظيفته، ٧ - عيوب الترادف.

تعريف الترادف:

أ - **الترادف لغةً:** التتابع، وترادف الشيء: تبع بعضه بعضاً، ويقال ردفتُ فلاناً، أي صرتُ له ردفاً. والرِّدف: المرتدف، وهو الذي يركبُ خلف الراكب، وكلّ شيء تبع

شيئاً فهو رِدفه، وأرداف الملوك : الذين يخلفونهم، ويقال: لليل والنهار ردفان؛ لأنّ كلّ واحد منهما يردف صاحبه، أي يتبع أحدهما الآخر(١).

ب – الترادف اصطلاحاً: لم يظهر هناك أي اتفاق بين العلماء الدراسين قديماً وحديثاً على تعريف اصطلاحي لمفهوم الترادف.

فقد وجد الباحث محمد المنجد أنّ أول من ذكر الترادف صراحةً هو علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٤هـ)، الذي جعل عنوانا صريحا لكتابه (الألفاظ المترادفة المتقاربة في المعنى)، إلا أنّه لا يدلّ على تمييز دقيق لمعناه؛ لأنه يجعل المتقاربة والمترادفة كأنهما شيءٌ واحد(٢).

وذكر حاكم الزيادي أنّ فكرة الترادف عند العلماء القدامى تمثّلت في اختلاف الألفاظ للمعنى الواحد أو للشيء الواحد، وبعد التطور في البحث اللغوي وجد العلماء أنه لابدّ من تحقيق اعتبارات لغوية معينة حين النظر إلى هذه الظاهرة لتمييزها عن غيرها(٣).

بينما رمضان عبدالتواب أوجد مصطلحا جديدا، وهو "الترادف التام"، وذكر أنه نادر الوقوع، وهو من الكماليات، وعند وقوعه لا يكون إلا فترة قصيرة محددة، وسرعان ما تظهر الفروق المعنوية الدقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كلّ لفظ منها مناسبا وملائما(٤).

ومن تعريفات الترادف العامة: هو إطلاق عدة كلمات على مدلول واحد، أو هو ما اختلف لفظه واتفق معناه، مثل: الأسد والسبع والليث وأسامة بمعنى واحد، والحسام والمهند والسيف واليماني بمعنى واحد، والشهد والعسل والتحموت وريق النحل بمعنى واحد، والحزن والغم والغمة والأسى والشجن والترح والوجد والكآبة والجزع والأسف واللهفة والحسرة والجوى والحرقة واللوعة بمعنى واحد(٥)، ومن أمثلته أيضا:

– خاف الرجل، وفزع، وخشي، ووجل، وفرق، ورهب، وارتاع، وارتعب، وانذعر.

– الرحمة، والرقة، والشفقة، والحنو، والحنان، والعطف، والرأفة.

---

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، [د.ت.]، ٢٢/٨، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت– لبنان، ١٣٧٤هـ – ١٩٩٥م، مادة (ردف): ١١٤/٩ـــ ١١، الترادف في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٩٩٧: ٢٩/١-٣٠.

(٢) ينظر: الترادف في القرآن الكريم:٣٢/١.

(٣) ينظر: الترادف في اللغة، حاكم الزيادي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م: ص٨٤.

(٤) ينظر: فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة : ٣٠٩

(٥) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الفكر، بيروت، د.ت: ص٣١٦/١.

– فلان يشبه فلاناً، ويشابهه، ويشاكله، ويشاكهه، ويضاهيه، ويماثله، ويضارعه، ويحاكيه، ويناظره.

– هفوة، وزلة، وسقطة، وعثرة، وكبوة.

– هزئ، وسخِرَ، وتهكّم.

– الجُود، والكرم، والسخاء.

– مريض، وسقيم، وعليل.

– صبر، وحِلْم، وأناة.

ومما سبق يتبيّن أنّ مفهوم الترادف الاصطلاحي هو الألفاظ المفردة الدالة على شيءٍ باعتبار واحد. وهذا ما نجده في تعريف السيوطي (ت٩١١ هـ)، الذي أفرد للترادف فصلا خاصا من كتابه (المزهر في علوم اللغة وأنواعها)، سماه "معرفة المترادف"، وعرفه بقوله: (نقلا عن فخر الدين الرازي) "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، قال: واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم؛ فإنهما دلا على شيء واحد لكن باعتبارين: أحدهما على الذات، والآخر على الصفة، والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر، وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول، والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئا كقولنا: عطشان نطشان" [١].

وعرفه الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) في كتابه (التعريفات) بقوله: "المترادف: ما كان معناه واحدًا وأسماؤه كثيرة، وهو ضد المشترك، أخذاً من الترادف، الذي هو ركوب أحد خلف آخر؛ كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه، كالليث والأسد"[٢].

وعرفه بتعريف آخر، فقال: "الترادف هو عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد" [٣].

أما محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ) فقد جعله أحد ضربي كلام العرب، وذلك بعد كلامه عن الأضداد والمشترك اللفظي، قائلا: "... وأكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين: أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين، كقولك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به. والضرب الآخر أن يقع

(١) المزهر: ص١/٣٨٨.

(٢) كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م: ص١٩٩.

(٣) السابق، ص٥٦.

اللفظان المختلفان على المعنى الواحد، كقولك :البُرّ والحنطة، والعَيْر والحمار، والذئب والسيد، وجلس وقعد، وذهبَ ومضى"[١].

ويطلق "ستيفن أولمان" على التَّرادف مصطلح "مدلول واحد – ألفاظ عدة" والمترادفات عنده "ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق"[٢].

ويوجد في هذا التعريف ثلاث نقاط أساسية هي:

أ – المتعدد هو الألفاظ.

ب – الثابت والمتحد هو المعنى.

جـ – الربط بين الترادف والسياق، فالترادف مشروط بإمكانية التبادل بين الألفاظ المترادفة في أي سياق، والتبادل هنا مطلق، وليس مشروطا أو مقيدا بحالة معينة.

فمن خلال هذه التعريفات السابقة يمكننا القول بأن الترادف في مفهومه الاصطلاحي يراد به دلالة كلمتين أو أكثر على معنى واحد، وبعبارة أخرى اشتراك كلمتين مختلفتين أو أكثر في الدلالة على معنى واحد.

الاختلاف حول وجود الترادف في اللغة العربية:

اختلف اللغويون قديما وحديثا حول حقيقة وجود الترادف في اللغة بين مثبت ومنكر. ويظهر أن مصطلح الترادف لم يكن معروفا في كتب المتقدمين على الرغم من الإشارات الواضحة إلى فكرته؛ ذلك أنه من الظواهر اللغوية القديمة التي تنبه إليها القدامى، وأشاروا إليها في مصنفاتهم، فهذا سيبويه أشار في باب اللفظ للمعاني: "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموْجِدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضّالّة. وأشباه هذا كثير"[٣]. فالقسم الثاني من تقسيم سيبويه هو الذي اصطلح عليه بالترادف في ما بعد، إلاّ أن نص سيبويه واضح كلّ الوضوح في الإشارة إليه ظاهرة لغوية دون أن يحددها اصطلاحًا، كذلك لم تشر المصادر التي جاءت بعد سيبويه إليه مصطلحا على الرغم من إشارتها إليه فكرة، ويبدو أن مصطلح الترادف لم يعرف إلا في القرن الثالث الهجريّ[٤].

(١) الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت،١٩٦٠م: ص ٦٧.

(٢) دور الكلمة في اللغة، تأليف ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، عمان، الأردن، ص: ١٠٩.

(٣) الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م: ٢٤/١.

(٤) ينظر: الترادف في اللغة: ص٣٤.

وقد اختلف موقف اللغويين القدامى حول ظاهرة الترادف، حيث تراوح موقفهم بين مثبت لوجود الظاهرة في العربية-وهو الغالب- وبين منكر لها، ويمكن أن نلمح هذا الخلاف من خلال ما نقله السيوطي في كتابه (المزهر) حكاية عن العلامة عز الدين بن جماعة في شرح (جمع الجوامع) قوله: "حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي، وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا"(١).

المثبتون للترادف:

القائلون بالترادف هم الغالبية العظمى، منهم:

سيبويه، وهو من أشهر المثبتين لهذه الظاهرة، كما اتضح من إشارته السابقة في باب (اللفظ للمعاني): فقوله: "اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق(٢)" ينصرف إلى الترادف.

والأصمعي، ألف فيه كتابا عنوانه: "ما اتفق لفظه واختلف معناه". وذُكر أنّ الرشيد سأل الأصمعي عن شعر لابن حزام العكلي، ففسّره، فقال: يا أصمعي إنّ الغريب عندك لغير غريب: قال يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك، وقد حفظت للحجر سبعين اسماً(٣).

وقطرب، فقد حكي عنه أنه رأى أنّ العرب أوقعت اللفظتين على المعنى الواحد؛ ليدلوا على اتساعهم في الكلام(٤).

وأبو الحسن الرماني، الذي ألف كتاب: "الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى".

وابن خالويه، الذي كان يفتخر بأنه جمع للأسد خمسمائة اسم، وللحية مئتين، وأنه يحفظ للسيف خمسين اسما(٥).

وأبو الفتح عثمان بن جني، الذي أشار إلى ظاهرة الترادف في كتابه (الخصائص) في (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) مستدلا به على وقوع الترادف بقوله: "وجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يحاط به"، ... وفيه

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها:٤٠٥/١

(٢) الكتاب: ٢٤/١.

(٣) الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، أبو الحسن بن علي الرمّاني، تحقيق: د فتح الله صالح علي المصري، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م: ص١١.

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٤٠١،٤٠٠/١

(٥) ينظر: السابق: ٢٥٧/١.

يحكم على من يُنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد، ويحاول أن يوجد فرقا بين قعد وجلس، وبين ذراع وساعد بأنه متكلّف(١).

وحمزة بن حمزة الأصفهاني، الذي كان يقول إنه جمع من أسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة(٢).

والفيروزآبادي، الذي ألف كتابا في الترادف بعنوان: الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف(٣).

ومعظم المحدثين من اللغويين العرب يعترفون بوقوع الترادف في اللغة، من هؤلاء:

علي الجارم، الذي يقول: إن الترادف موجود، ولا سبيل إلى إنكاره، ولكن لا يجوز المبالغة فيه بإدخال الصفات مرادفة للأسماء(٤).

وإبراهيم أنيس، الذي يقول: إنّ علماء اللغات يجمعون على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، والذين أنكروا الترادف من القدماء كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون أمورا سحرية، ويتخيلون في معانيها أشياء لا يراها غيرهم، وفي هذا من المبالغة، والمغالاة ما يأباه اللغوي الحديث في بحث الترادف(٥).

ويرى الدكتور أحمد مختار عمر أنَّ التَّرادُف التَّامّ غير موجود، ويتمثل الترادف التام في تبادل اللفظين في جميع السياقات، وفي مستوى واحد، وفترة زمنية واحدة، وعند جماعة لغوية واحدة، وعلى هذا فلا ترادُف بين حامل وحبلى، فالأولى راقية مؤدبة والثانية مبتذلة. وإذا أمكن التبادل بين اللفظين في بعض السياقات فالترادف موجود، وهو موجود مع الكلمات التي نعجز عن بيان الفرق الدقيق في المعنى بينها، كما في يثب ويقفز، ويجري ويعدو، ومضيء ومنير(٦).

وقد ذكر الدكتور أحمد مختار عمر في موضع آخر من كتابه (علم الدلالة): "أن أصحاب الترادف كانوا فريقين: الأول: وسّع في مفهومه، ولم يقيّد حدوثه بأي قيود. والثاني: كان يقيِّد حدوث الترادف، ويضع له شروطاً تحدُّ من كثرة حدوثه، ومن

(١) الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (د. ت.): ٣١٠/٢. وفي طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة: ٣١٢/٢.

(٢) المزهر: ٢٥٧/١.

(٣) ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م: ص١٩، المزهر: ٣٢٠/١.

(٤)– ينظر: الترادف، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، ج١، أكتوبر ١٩٣٤م، المطبعة الأميرية، القاهرة: ١٩٣٥م .

(٥) في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢: ص١٨١.

(٦) علم الدلالة، عمر أحمد مختار، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م: ص ٢٢٧، ٢٣٠.

الأخيرين الرازي الذي كان يرى قصر الترادف على ما يتطابق فيه المعنيان بدون أدنى تفاوت"[١].

ويناقش **الدكتور كمال بشر** قضية الترادف، فيقول: يجب وضع منهج علميّ لدراسة قضية الترادف، وهو المنهج الوصفي، ويستند هذا المنهج إلى مجموعة من الأسس تتمثل في ضرورة تحديد مصطلح الترادف، ودراسة هذه القضية في فترة زمنية محددة، وتحديد بيئة الكلام المدروس، ونوع الأسلوب المدروس، كأسلوب المثقفين أو العامة، ومراعاة الموقف الذي يقال فيه الكلام. وإذا نظرنا إلى الترادف نظرة عامة، وبدون تحديد منهج معين، فالترادف موجود، وإذا نظرنا إلى الترادف في اللغة العربية في القديم والحديث، فالترادف موجود أيضًا، مع إمكانية تخريج بعض الأمثلة أو إخراج بعضها منه"[٢].

أما **رمضان عبدالتواب** فمن الذين لم ينفوا وقوع الترادف مع أنه يذهب إلى تفرّد كلّ كلمة بمعانٍ خاصة بها، فأهل اللغة يفسّرون اللفظة بأخرى[٣].

ومن المحدثين الغربيين ممن أقرّ بوجود الترادف التام ستيفن أولمان. يقول: "من الخطأ إنكار إمكانية حدوث الترادف التام. حيث إن هذا مناقض للظاهر بصورة كافية[٤].

حجج المثبتين للترادف:

ومن أبرز ما احتج به المثبتون لظاهرة الترادف ما يلي:

(١) لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى، لما أمكنَ أن نعبِّر عن شيء بغير عبارته، وذلك أنا نقول في "لا ريب فيه": "لا شكَّ فيه"، وأهل اللغة إذا أرادوا أن يفسروا (اللُّب) قالوا هو "العقل"، فلو كان الريبُ غيرَ الشك، والعقل غير اللُّب لكانت العبارةُ عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عُبِّرَ بهذا عن هذا عُلم أن المعنى واحد[٥].

(٢) إنّ المتكلم يأتي بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدًا ومبالغةً كقوله: "وهند أتى من دونها النَّأْي والبعد"، قالوا: فالنَّأْيُ هو البعد[٦].

---

(١) السابق : ص٢١٧-٢١٨.

(٢) دور الكلمة في اللغة: ص ١١١-١١٢.

(٣) فصول في فقه اللغة: ص٣١١

(٤) السابق نفسه

(٥) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص: ٥٩-٦٠.

(٦) ينظر: السابق: ص٦٠.

المنكرون للترادف:

لقد أنكر الترادف فئة من العلماء قديما وحديثا، من العرب، ومن غيرهم:

أول عالم عرف بإنكار هذه الظاهرة هو **ابن الأعرابي** (ت٢٣١هـ): فذكر أنّ لكلّ حرفين أوقعتها العرب على معنى واحد في كلّ واحد منهما ليس في صاحبه، ربّما عرفناه، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله [١]. وقد أسرف ابن الأعرابي في إيجاد العلل لكلّ اسم، وإرجاع كلّ اسم إلى أصل اشتقاقه، فهو يفرّق بين الإنسان والبشر، فالإنسان عنده كما قال: سمّي إنساناً لنسيانه، والبشر عنده تبعا لمنهجه سُمّي بهذا؛ لأنه بادي البشرة، وبإيجاده العلل لكلّ اسم يوجد الفروق، وهو بذلك يكون أول من ذهب إلى إنكار الترادف في اللغة، وليس هناك دليل يشير إلى إنكار الترادف في اللغة قبل ابن الأعرابي، وجاء من بعده، واتسع في هذا الرأي[٢].

ومن المنكرين كذلك:

ثعلب، الذي كان يقول: لا يجوز أن يختلف اللفظ والمعنى واحد[٣].

وابن درستويه، الذي يرى أنه لا يكون فعَل وأفْعَل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم على طباعها، ولم يعرف السامعون العلل والفروق؛ فظنوا أن هذه الألفاظ بمعنى واحد؛ فأخطؤوا في فهم ذلك، وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين[٤].

وأبو علي الفارسي، الذي رد على ابن خالويه، عندما افتخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسما، قائلا لا أعرف له إلا اسما واحدا، هو السيف، وأما الباقي فصفات[٥].

وأبو هلال العسكري، الذي يرى أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني في لغة واحدة يقتضي كل واحد منهما خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا كان الثاني فضلة. وقد ألف كتاب الفروق اللغوية؛ لنقض فكرة الترادف، وإبراز الاختلاف بين هذه الكلمات[٦].

---

(١) ينظر: الصاحبي: ص٦٥.

(٢) الترادف في اللغة: ١٩٨.

(٣) ينظر: تصحيح الفصيح وشرحه، أبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م: ص٧٠، المزهر: ٣٠٢/١-٣٠٣.

(٤) ينظر: تصحيح الفصيح وشرحه: ص٧٥،٧٠ .

(٥) ينظر: المزهر: ٣١٨/١.

(٦) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر: ص٢٢.

وأحمد بن فارس، الذي يقول: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا : أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوم، فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا : سيف، وعضب، وحسام. وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال نحو: مضى، وذهب وانطلق، وقعد، وجلس، ورقد، ونام، وهجع. قالوا: ففي (قعد) معنى ليس في(جلس)، وكذا القول فيما سواه "[١].

ويرى "**بلومفيلد**" أن الترادف غير موجود، وأن وجود اسمين لمعنى واحد أمر غير ممكن، فذهب إلى أنه إذا اختلفت الصيغ صوتيًّا وَجَبَ اختلافها في المعنى، وعلى هذا فلا ترادف. ويتَّفق "**فيرث**" مع "بلومفيلد"في هذه النَّظريَّة، وتعد المميزات الصوتية إحدى خصائص المعنى اللغوي عندهما، فإذا اختلفت المكونات الصوتية تغيَّر المعنى[٢].

حجج المنكرين للترادف:

(١) وجود فروق بين المترادفات، وهذه الحجة من أقوى الحجج التي أوردها منكرو الترادف، مثال ذلك: (قعد وجلس)، قال ابن فارس: "إنّ في قعد معنى ليس في جلس، ألا ترى أننا نقول: قام ثم قعد .. ثم نقول: كان مضطجعا فجلس، فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس"[٣].

(٢) الترادف على خلاف الأصل، يريدون بذلك أن الأصل – في الوضع اللغوي– أن يكون للشيء اسمٌ واحدٌ فقط، إذ إن تسمية الشيء الواحد باسمين، أو أكثر، مدعاة للخلط واللبْس، وهذا ينطبق على أسماء البشر أيضا، فلو كان للرجل الواحد اسمان لأحدث ذلك خلطا وبلبلة، قال البيضاوي: "الترادف على خلاف الأصل، والأصل هو التباين" [٤].

المتوسطون في قضية الترادف:

وممن توسط بين الإنكار والوقوع الدكتور **صبحي الصالح** في كتابه دراسات في فقه اللغة، يقول: "وهكذا لم نجد مناصا من التسليم بوجود الترادف، ولا مفرا من الاعتراف بالفروق بين المترادفات"[٥]. وتابعه **حاكم مالك الزياديّ** في التوسط بين

(١) ينظر: الصاحبي: ص ٥٩– ٦١.
(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ص ١٠٩.
(٣) الصاحبي: ص٦٠.
(٤) ينظر: المزهر: ٣١٩/١.
(٥) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م: ص٣٠٠.

الأنكار والثبوت، فبعد أن عرض آراء الباحثين العرب والأجانب يقول: "ولعلّ أهم ما نجده في هذه الأقوال إشارة بعضهم إلى أن الترادف ظاهرة غير ثابتة في الألفاظ، لاكتساب الألفاظ المترادفة معاني مختلفة بمرور الزمن،.. ويتمثل هذا في أن ما كان مترادفاً من الألفاظ قد يصير متباينا، والعكس صحيح أيضا"(١).

يبدو أن الاختلاف عائد إلى معنى الترادف، هل يعني التَّشابُه التَّامّ في كل الأحوال؟ أم هل يعني التشابه النسبي الذي يمكن فيه أن تستعمل لفظة مكان أخرى؟ إذا كان الأول، فالتشابه التام بين كلمتين شبه مستحيل، بل إن بعض علماء اللغة يستبعد أن تشبه الكلمة نفسها في موضعين مختلفين. أما إذا قبلنا بالتعريف الثاني، فإننا لن نعدم عددا من الألفاظ التي يُمكن أن تحل محل أخرى في سياقات معينة؛ فبهذا الاعتبار لا يمكن إنكار وجود ظاهرة الترادف.

شروط الترادف:

وضع العلماء المحدثين شروطا للغوية الترادف، ورأوا أنه لا بُدّ من تحقّقها، وأوجزها الزيادي ضمن الشروط الآتية:

١- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما: فمثلاً إذا فهم العربي من كلمة (جلس) شيئا لا يستفيده من كلمة (قعد)، فهذا يُعتبر غير ترادف.

٢- الاتحاد في البيئة اللغوية: بحيث أن تنتمي الكلمتان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجتان.

٣ - الاتحاد في العصر: فعند قياس كلمتين بالترادف، يجب النظر إليهما بكونهما استُعملتا في نفس العصر.

٤- ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطوّر صوت آخر: مثال (الجثل والجفل)، فكلاهما النمل، ويمكن أن تكون إحدى المفردتين متطورة صوتيا عن الأخرى.

وبهذه الشروط حدّ المحدثون من كثرة الترادف، والغلوّ فيه، حتى صارت المترادفات بقدر مقبول، حتى كأنهم أدركوا الاضطراب، والخلط في هذه المسألة(٢).

(١) الترادف في اللغة: ص٢٧١.

(٢) الترادف في اللغة :٦٥-٦٧.

أسباب وقوع الترادف:

هناك عدة أسباب لنشوء الترادف في اللغة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١- فقدان الوصفية أو تحوّل الصفات إلى أسماء: بعض الألفاظ كانت تدل في الماضي على أوصاف محددة لاعتبارات معينة، غير أنه مع مرور الزمن توسع في استعمالها، ففقدت الوصفية، واقتربت من الاسمية، واكتفي بالصفة عن الموصوف، وأصبح هذا الوصف اسما، نحو: المُدام: كانت صفة للخمر، وهي الآن تُطلق على أنها اسم من أسماء الخمر.

ومثله "السيف"، له اسم واحد، هو السيف، وله أكثر من خمسين صفة، لكل صفة دلالتها المميزة كالمهند "مصنوع في الهند" ومثله اليماني "مصنوع في اليمن" والحسام لحدته وسرعة قطعه[١].

٢- تعدّد الوضع واختلاف اللغات واللهجات أو اختلاطها: بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر، ثم يشتهر الوضْعان، ويخفى الواضعان[٢]. وقد ظهر تداخل اللغات عند العرب بشكلٍ كبير، وأخذ بعضها عن بعض، وتكوّنت اللغة المشتركة. والعربية لغة ذات لهجات متعددة، تختلف في أسماء بعض الأشياء، فالشيء الواحد قد يسمى عند قبيلة بلفظ، وعند أخرى بلفظ آخر، وبسبب اختلاط العرب في حروبهم، ومعاشهم، وأسواقهم، فقد تطغى بعض الألفاظ على بعض، واشتهرت الكلمات التي تعتبر أسهل أو أفضل من غيرها، فاجتمع للإنسان الواحد أكثر من لفظة للشيء الواحد، من ذلك مثلا:

- السكين يدعوها بذلك أهلُ مكة وغيرُهم، وعند بعض الأزد يسميها المدية.
- القمح لغة شامية، والحنطة لغة كوفية، وقيل البر لغة حجازية.
- الإناء من فخار: عند أهل مكة يدعى بُرمة، وعند أهل البصرة يسمى قدرا [٣].

٣- الاقتراض من اللغات الأعجمية (المعرَّب والدَّخيل): اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأعجمية من فرس، وروم، وأحباش، وغيرها أدى إلى دخول عدد من الكلمات الأعجمية في العربية، بعضها كثر استعماله حتى غلب على نظيره العربي[٤]، من ذلك:

أعجمي: النَّرجس – عربي: العَبْهر

(١) ينظر: السابق:١٣٠-١٥٢.

(٢) ينظر: المزهر: ٣١٩/١.

(٣) ينظر: الترادف في اللغة : ١٥٢-١٦١.

(٤) ينظر: المصر السابق: ١٦٣-١٨٠، الفروق اللغوية: ص٢٨.

أعجمي: الياسمين – عربي: السَّمْسَق

أعجمي: المِسك – عربي: المشموم

ومن أمثلته دخول الألفاظ الأعجمية في العربية: (القَصْر/ البَلاط)، (الطعام / السُّور)[١]، (المِرآة / السجنجل) [٢].

٤- المجاز: المجازات المنسية تعتبر سببًا مهمًّا من أسباب حدوث الترادف؛ لأنها تصبح مفردات أخرى بجانب المفردات الأصلية في حقبة من تاريخ اللغة، من ذلك:

– تسمية العسل بالماذية (تشبيهًا بالشراب السلس الممزوج)، والسلاف (تشبيها بالخمر)، والثواب (الثواب النَّحل، وأطلق على العسل بتسمية الشيء باسم صانعه)، والصهباء (تشبيهًا بِالخمر)، والنحل "العسل" (سُمّي العسل نحلا باسم صانعه).

– تسمية اللغة لساناً؛ لأنَّ اللسان آلة اللغة.

– تسمية الجاسوس عيناً لعلاقة الجزئية.

– تسمية الرقيق رقبةً لعلاقة الجزئية[٣].

٥- التساهل في الاستعمال أو نسيان الفروق المعنوية: التساهل في استعمال الكلمة، وعدم مراعاة دلالتها الصحيحة يؤدي إلى تداخلها مع بعض الألفاظ في حقلها الدلالي[٤]، كما يلي:

– المائدة: في الأصل لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام، وإلا فهي خوان.

– الكأس: إذا كان فيها شراب، وإلا فهي قدح.

– الكوز: إذا كان له عروة، وإلا فهو كوب.

ومن تلك الأمثلة: (أعمى وأكمه) [٥]، (جلس وقعد)، (ذراع و ساعد) [٦].

٦- التغيير الصوتي: إن أصوات اللغة في تغير مستمر، والتغييرات الصوتية التي تحدث للكلمات تخلق منها صورا مختلفة تؤدي المعنى نفسه. وهذه التغييرات قد تكون بسبب:

– الإبدال اللغوي، وذلك بإبدال أحد أصوات الكلمة بصوت آخر قريب منه في المخرج أو الصفة، كإبدال حرف بحرف مثل: (ثوم وفوم)، (هتنت السماء وهتلت)، (حلك الغراب وحنك الغراب).

---

(١) السور كلمة فارسية بمعنى الطعام

(٢) السجنجل: المرآة بالرومية.

(٣) ينظر: الترادف في اللغة : ١٠٠ –١٢٧، ١٧١–١٩١.

(٤) ينظر المصدر السابق: ٧٨، ١٥٠–١٥٢.

(٥) الأكمه : هو الذي ولد وهو أعمى.

(٦) الذراع: من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى. أما الساعد فهو عظم الذراع من لدن المرفق إلى الرسغ.

– القلب المكاني أو القلب اللغوي بتقديم حرف على آخر، مثل: صاعقة وصاقعة؛ عاث وعثا؛ حمد ومدح، تفحّص وتصفّح، طريق طَامِس وطَاسِم[١].

٧– التطور الدلالي للألفاظ: إن التطور يعد من أهم ظواهر الحياة، واللغة كغيرها من الأشياء تخضع للتطور على مستوياتها المختلفة، فيصيب أصواتها، وأبنيتها، وتراكيبها، ودلالة ألفاظها، كأن يتحول الخاصّ إلى عامّ ، والعامّ إلى خاص، أو أن يتغير مجال الدلالة من جرّاء الاستعمال اللغويّ، ومن أمثلة تطور دلالة اللفظ من خاصّ إلى عامّ لفظ "الورْد" وهو يعني ورود الماء، ثم تطورت هذه الدلالة، إذ صار إتيان كلّ شيء يسمى وردًا[٢]

٨ – كثرة التصحيف في الكتب العربية القديمة ، وخاصة عندما كان الخط العربي مجردًا من الإعجام والشكل[٣].

فوائد الترادف في اللغة ووظيفته:

ليس الترادف ضربا من العبث أو نوعا من الحلية، وإنما هو ظاهرة ذات دور عظيم الفائدة، ولكي يتضح لنا هذا الدور ينبغي لنا أن نعدّد فوائده ونسرد مزاياه، فمنها أنه:

(أ) يزيد من مقدار الثروة اللغوية، إذ إنه يعدُّ أحد أشكال التوسع في التعبير شعرا أو نثرا. يقول الدكتور صبحي الصالح: "حين نصف العربية بسعة التعبير، وكثرة المفردات، وتنوع الدلالات، وحين نتجرأ أكثر من هذا فنزعم أن لغتنا في هذا الباب أوسع اللغات ثروة، وأغناها في أصول الكلمات الدوال على معانٍ متشعبة، قديمة وحديثة"[٤].

(ب) يمنح الكلام رونقاً وحيوية؛ فمن خلال التنويع اللفظي يكتسب الكلام جاذبية، وهذا يطرد عن السامع (أو القارئ) الملل، وينفي عنه السأم، ولو أن اللغة خلت من الترادف لغدا حديث الناس متشابها إلى حدّ بعيد[٥].

(١) ينظر: ظواهر لغوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. ناصر على عبد النبي: ص٢٨، وينظر مقالة : ظاهرة الترادف عند القدماء والمحدثين، لسليمان أبو عيسى، المنشورة في شبكة الألوكة.

(٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ص١٧٠، الترادف في اللغة : ٨٠–٩٧، ١٢٧–١٢٨، ١٤٣ – ١٤٤، مقالة : الترادف في العربية، ل أد. محسن حسين علي، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل.

(٣) ينظر: فقه اللغة العربية و خصائصها، د. إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان: ص١٧٧.

(٤) ينظر: دراسات في فقه اللغة: ص٢٩٢.

(٥) ينظر مقالة: الترادف في اللغة، للدكتور عبد الرحمن دركزللي، مدرّس اللغات السامية القديمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب.

(ج) يشفّ عن ذوق المتكلّم، ومدى ثقافته؛ ذلك أن المتكلّم يتخير ألفاظه وفقا لذوقه الخاص، كما يفعل الجوهري عندما ينتقي الحجارة الكريمة أو المعادن الثمينة لصناعة حليّه(١).

(د) يساعد الشاعر على النظم، ويساعد الناثر على السجْع؛ إذ إنه يوسع علي المتحدث طرائق البلاغة، والتعبير في نظمه ونثره، حتى يستطيع أن يختار أحد اللفظين مراعاة للسجع، أو القافية، أو التجنيس، أو الترصيع، ذلك أن اللفظ الآخر قد لا ينسجم مع مراد الناثر أو الشاعر؛ فيلجأ إلى مرادفه(٢).

(هـ) يزيد في الكلام قوة؛ لأن الترادف نوع من التكرار في المعنى، وفي التكرار توكيد. يقول السيوطي: "وضعوا بإزاء هذا كلماتٍ لمعنى واحد؛ لأن الحاجةَ تدعو إلى تأكيد المعْنى، والتحريض والتقرير، فلو كُرّرَ اللفظُ الواحد لسَمُجَ ومُجَّ، ويقال: الشيء إذا تكرر تكرَّج. والطِّباعُ مجبولةٌ على مُعَاداة المُعَادات، فخالفوا بين الألفاظ، والمعنى واحد(٣).

(و) يساعد على الشرح والتفسير، وهذا معروف لدى المشتغلين بصناعة المعجم، فهم يستخدمون الترادف لتوضيح معاني الألفاظ غالبا(٤).

(ز) يساعد على التخلّص من عيوب النُطق، وخير مثال على ذلك ما جاء عن واصل بن عطاء الذي كان يعاني من لثغة قبيحة في الراء، وكان يخلّص كلامه منها من غير أن يفطن إليه أحد، فهو يقول أعمى بدلا من ضرير، وقمح بدلا من بُرّ، ومضجع بدلا من فراش. وأخباره مشهورة(٥).

(ح) يسعف الذاكرة عند النسيان. وأغلب الظن أن هذا السبب هو المسؤول الأوّل عن تعدد الروايات في الشعر العربيّ للبيت الواحد(٦).

(ط) يمكّن من استبدال اللفظ الخفي بلفظ أجلى منه، فقد يكونُ أحد المترادفين أجلى من الآخر، فيكون شرحا للآخر الخفي، وقد ينعكس الحالُ بالنسبة إلى قومٍ دون آخرين(٧).

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: المزهر: ٣١٩/١.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٣٣/١.

(٤) ينظر مقالة: الترادف في اللغة، للدكتور عبد الرحمن دركزللي.

(٥) ينظر: البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ: ١٤/١– ١٧، ٢١– ٢٧، ٢٩، ٣٢– ٣٣، ٣٦، ٣٥٦/٣.

(٦) ينظر: المزهر، ٣١٩/١، وينظر مقالة: الترادف في اللغة، للدكتور عبد الرحمن دركزللي.

(٧) ينظر: المزهر، ٣١٩/١.

عيوب الترادف:

إذا كان للترادف – كما رأينا – محاسن جمّة فإنّ له عيوباً أيضاً، منها أنّه :

(أ) ينشر الغموض في اللغة؛ لأنه غالبا يلغي الفروق القائمة بين الألفاظ، وأنّ الشاعر حين يستخدم الترادف لا يُبالي بالفروق المعنوية الدقيقة بين الألفاظ، بل يهتم بالمفهوم العامّ لها، وأن استخدام الشعراء للألفاظ على هذا النحو من التحرّر، وعدم الدقة فتح الباب لنشوء الترادف، وعمل من طرف خفيّ على إزالة ما بين الألفاظ من فروق معنوية(١).

(ب) يؤدي إلى الحشو والفضول، ونحن إذا تأمّلنا استخدام الشعراء للترادف، وجدناهم في كثير من الأحيان يستخدمونه استخداما عبثيّا مجرّدا من الفائدة، ومن هذا القبيل ما قاله المتنبي في مدح كافور:

فَلَو لَم تَكُن في مِصرَ ما سِرتُ نَحوَها بِقَلبِ المَشوقِ المُستَهام المُتَيَّمِ (٢)

وممّا أولع به كثير من أصحاب المذهب القديم إلى يومنا هذا تكرار الكلام في غير مواطن التكرار، والإسراف في استعمال الترادفات على غير حاجة إليها، ولا فائدة منها(٣).

(ج) يرهق المتعلّم (ولا سيما الأعجمي)؛ لأنه يكلّفه عناء وشططا من خلال اضطراره إلى تعلّم آلاف الألفاظ، وهذا يورثه النفور، ويدفعه إلى اليأس أحيانا(٤).

(١) ينظر مقالة: الترادف في اللغة، للدكتور عبد الرحمن دركزللي.

(٢) ينظر: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ١٤٠٤ه–١٩٨٣م : ص٤٦١.

(٣) ينظر مقالة: الترادف؛ غنى أم ثرثرة ؟ بقلم : بروفسور سليمان جبران، المنشور في مجلة "دنيا الوطن" بتاريخ: ٣–٣–٢٠٠٩م.

(٤) ينظر مقالة: الترادف في اللغة، للدكتور عبد الرحمن دركزللي.

الخاتمة:

في ختام هذا العرض يمكننا أن نقول: إن الترادف اللغوي أمر لا يمكن إنكاره، فهو ظاهرة لغوية موجودة في معظم اللغات البشرية، خصوصا أنه خصيصة من الخصائص التي اتسمت بها اللغة العربية، يدعمه الاستعمال، ويشهد به الواقع اللغوي، كما أنه دليل على ثراء هذه اللغة؛ إذ هو يُسهم في توسعة اللغة، وزيادة طرق التعبير عما في النفس، مما يشيع اليسر في البيان، والتنوع في أساليب الأدب. فينبغي التسليم بوقوعه في العربية، فهو ظاهرة عامة، ومن ثَمَّ فإنَّ إنكاره تماما أو رفضه كليا يتَّسم بشيء من المغالاة، ولكن ينبغي لنا أن نسلم أن الترادف طارئ على العربية، وأن الأصل فيها هو التدقيق والتفريق، وأنه تعرض لألفاظ من اللغة في أثناء حياتها وتطورها، ومن الجائز أن يكون ما كان مترادفا في مرحلة، متباينا في مرحلة أخرى، والعكس صحيح أيضا مادامت ألفاظ اللغة عموما عرضة للتطور الدلالي. كما يقول الأستاذ الدكتور محسن حسين: "لا يمكن التسليم بوجود الترادف التام في عمر اللغة المديد ؛ ذلك أنه ما يبدو مترادفا اليوم قد يكون ضدا في قابل الزمان، وما يكون معاكسا لغيره في المعنى اليوم قد يكون مترادفا في المستقبل(١).

ومما لاشك فيه أن قضية الترادف في العربية قضية واضحة وجلية، وجلاؤها يعود لطبيعة اللغة العربية، وطبيعة القوم؛ فقد مرت على الأمة العربية ظروف وحالات بين توحد وتشتت لقبائلها وشعوبها، وبين انقطاع واتصال مع عدد من الشعوب الأخرى، ومن اقتضاء تلك الطبيعة، وطرائق العيش ما جعل الترادف حاجة لغوية عندهم.

وأما الخلاف الذي نشب بين علماء اللغة حول ماهية الترادف، فهو يعود أساسا إلى أهميته البالغة، ولذلك يجب على دارس اللغة العربية العناية به؛ لأن كثيرا من معاني ودلالات المفردات في النص العربي قديمة وحديثة، تتوقف معرفتها بشكل دقيق على الإحاطة بموضوع الترادف.

ويبدو لي أن الموقف الصحيح في إثبات الترادف ونفيه هو التوسط، وعدم التشدد، ولا الإفراط ولا التفريط، فلا يناسب التكلف في إقامة الفروق اللغوية بين الألفاظ المترادفة، وكذلك لا ينبغي التعصب بإثبات تلك الكثرة الكاثرة ما يسمى بالترادف لأدنى قرابة في المعنى دون تمييز، ولا تحقيق.

(١) ينظر مقالة: الترادف في العربية، ل أ.د. محسن حسين علي، كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة بابل.

ويختتم هذا البحث بالدعوة إلى اتفاق في وضع القيود في تعريف الترادف وتحديده، واعتماد منهجية واحدة للنظر في هذه الظاهرة التي لا يمكن تجاهلها، وإلى ضرورة الاهتمام بالترادف اللّغوي، ومقارنته بالقضايا اللغوية ذات الصلة، وضرورة وضع معجم حديث للألفاظ المترادفة يراعي التطور اللغوي التاريخي، والمفهوم الدقيق للترادف.